

أنتظر فراغ الصبية من ارتداء أثوابها . وكل ما يمكن
ليباني أن يؤديه ، هو أنني كنت أسمع القاذف الناري
يقول لي : عد الى رشذك لأدراك ما أنت فاعل

ولقد فكرت مراراً في ما كان سيقع لي
لو أن الفتاة أسرع بمغادرة الغرفة كما أمرتها .
لا ريب في أنني كنت سأجد سكوني بعد ثورة
الخجل التي ساورتني ، فان الحزن شيء واليأس شيء
آخر ؛ ولكن الله قد جمع بينهما كيلا يتسلط
أحدهما منفرداً دون رفيقه على النفس المتألمة . فقد
كان يكفي أن تخلو غرفتي من هذه المرأة ليضعف
يأسي ويقوى حزني بالندم ، وللندامة ملاكها
المانع الغفران عن قاتلي النفوس . ولو جرت الحوادث
على هذا الوجه ، لكنت وجدت الشفاء وأوجدت
بابي دون كل فاحشة بعد أن أبقت لي زيارتها
الأولى مثل هذا الخجل وهذا الاشتزاز

ولكن الحوادث اتخذت مجرى آخر
كنت لم أزل جالساً أنتظر خروج الفتاة وفي
نفسى مراجل من السكر والخوف والغضب ؛
أما هي فبقيت منهمكة في ترتيب شعرها وتنسيق
طيأت ثوبها تبتمم لحياها في المرأة . ومرت ربع
ساعة وأنا أتبع شاردات أفكاري حتى نسيت
وجود شخص آخر في غرفتي . وبدأت من الفتاة
حركة أشعرتنى بوجودها ، فانتبهت من غفاتي
وزجرتها ، فذعرت وقامت تطلب الباب وهي ترسل
إلى قبلة الوداع من بعيد . وفي هذه اللحظة قرع
جرس الباب الخارجي بشدة ، فنهضت مسارهاً إلى
إخفاء الفتاة في غرفة داخلية ما كدت أدفع مزلاجها
حتى دخل ديجنه ومعه رفيقان من شبان الجيرة

إن بعض حوادث الحياة تشبه التيارات
المندفعة في عباب البحر ، فهي قضاء أو صدفة



من أعماق النفوس

اشترافان في العصور

لأفريد رى سوسيه

بقلم الأستاذ فليكس فارس

الجزء الثاني

الفصل الأول

وعند ما صحت في اليوم التالي ، رأيتني بلغت
من الأخطا والدناءة ما جعلني كارهاً لنفسي ،
فاستهوتني فجأة فكرة مروعة دفعتني من فراشي
فهبيت وأنا أصبح بالملوكة التي قضيت معها ليلى
قائلاً لها : ارتدى أثوابك واخرجي حالا من هذا
المكان

وجالست أحرق بالجدران حتى بصرت
بأساحتي المعلقة على الزاوية . . .

عند ما انتراى فكرة متألمة الى أحضان الفناء
فتقدم الروح على الكبار تشعرها الحركة الآلية
للتنفيذ بشيء من الرهبة يصطدم بالارادة فيزعزعها .
ومن يهاجم الانتحار يستول الذعر على ألامله
وتنقلص عضلات يده عند ما يحس بصقيع الحديد .
وما أقدم إنسان نحو الموت إلا وأحس باحجام
الطبيعة عن مجاراته

يصعب على الآن إيضاح ما كنت أشعر به وأنا

أو عناية الهية ، سمها ما شئت ، ولكنها كائناتية وما
ينفيها التعارض في معنى كلماتها . على أن جميع من
يذكرون قيصر و نابوليون لا يفوتهم أن يصفوا
كلًّا منهما برجل العناية الإلهية ، فكأنهم يرون
الأبطال دون سواهم من الناس يستحقون عناية السماء
بهم . ولمسل الآلهة في اعتقادهم كالثيران في حلبة
الصراع لا يستهويها سوى الأوشحة الأرجوانية
إن ما ينتج عن أحقر الحوادث في هذه الحياة
وما تبدل في مسالكنا أنفه الأمور ، لمضلة تفتح
أعمق المهاوى أمام المفكرين

إن أفعالنا لشبيهة بالسهم الصغيرة التي تنتهي
بتفويقها نحو الهدف حاسبين أنها ستتجه طوع
اختيارنا وسهارتنا ، ولكن لفحة من الهواء تهب على
أحدها فجأة فتحوله عن مجراه وترفعه لتدفع به إلى
مجاهل الآفاق

إننا نشعر بصدمة مروعة عندما يتضح أن
كبريانا الواثقة من ذاتها ليست إلا شبحاً يتجلى
مباراة وعزماً ...

إن القوة نفسها وهي سيدة العالم التي يقبض
الإنسان عليها وينتضيها سيفاً يناضل به في معترك
البقاء ، إنما هي خاضعة ليد خفية تحولها عن الهدف
الذي نرى إليه ، فإذا جهدنا منطلق كالسيف خلا
أمامه مضربه فرمى بحامله إلى الحضيض

هكذا بينما كنت أتجه بكل ارادتي إلى تطهير
نفسى من أدران خطيئتي ، ولعلني كنت أتجه أيضاً
إلى ازال العقاب بنفسي ، رأيتني ماثلاً أمام تجربة
خطرة قدر على أن أسقط فيها

وكان البشر يطفح من وجهه ديجنه ، فانطرح
على القعد وهو يتهمكم بما يتم عليه وجهى من
اضطراب ومن مهيد ، وما كنت في حالة أحتمل

معهما الزاح فرجوته بالهجة جافة أن يعفني من
مراحه ، فما أهتم لقولى بل تناول الموضوع الذى
جاء من أجله ؛ وما جاء إلا ليعلمنى أن خليائى
لم تكلف بأخذ عشيقين في آن واحد إذ بلغ عشاقها
الثلاثة ، وذلك معناه أنها لم تعامل من خدعتنى
لأجله بأحسن مما علمتنى

قال ديجنه : إن مزاحى لم يتورع من نشر
الخبر ، وقد عرفت باريس كلها بخيانة الخلية له أيضاً ؛
وما أدركت لأول وهلة معنى هذا القول حتى
استمدته الحكاية ثلاث مرات ، وإذا فهمتها صمقت
ولم أجد سوى الضحك ألجأ إليه حين أيقنت أن
من أحببت امرأة ساقطة ، ولكننى وجدت حين
قالت لى نفسى بأننى أحببتها بل لم أزل أحبها إلى الآن
وأيد رفيقا ديجنه ما قاله هو ، فعرفت منهما أن
خليائى كانت في منزلها وقد التقى العاشقان
فيه فكان عمراك شديد اشهر أمره حتى اضطرت
المرأة إلى مغادرة باريس هرباً من الفضيحة والعار
وما كان ليخفى على ما يصيبنى من كل هذه
المهازل ، إذ أصبحت مبارزتى من أجل هذه المرأة
وتولمى بها وجميع ما فعلته من أجلها سخريه وهزواً ،
وما كان ما توصف به من أخط الصفات وما يفترض
من عهرها فوق ما اشهر منه إلا ايشعرانى بأننى لم
أكن إلا واحداً من عديد من تناولهم خداع هذه
المرأة الساقطة

ولاحظ الشبان امتعاضى فوقفا عن التمدادى في
السخريه ؛ غير أن ديجنه لم يقف إذ كان مصمماً على
معاملتى معاملة الطبيب بعالج مريضه بقسوة لا بد من
الأخذ بها ، وكان يرى لنفسه هذا الحق وهو
الصدق الحميم الذى محضنى الود وبادانى الخدمات
العديدة ، وقد اعتقد بحسن نيته فما زاده اضطرابى

فصل منها وهو مسك الختام ؛ فاعلم ، يا عزيزي
أوكتاف أن العراك بين عاشق خليلتك القديمة إنما
وقع في ليلة مقمرة ، وبينما كان كل منهما يهدد الآخر
بقطع عنقه ، لاح في الشارع خيال يتمشى على مهل
وقد عرف أن هذا الشبح لم يكن سواك أنت . .
وصحت به : — ومن قال هذا . . من رأي في
الشارع ، أنا . . ؟

فقال : هي خليلتك بعينها التي رأيتك . . ، وهي
نفسها أخبرت بذلك وهي تضحك وتؤكد للناس
أنك لم تزل هائماً بها وتقضي الليل كالشمس أمام
بابها . أفلا يكفيك أن تعلم أنها تعان هذه الأمور
على ملا الأشرار ؟

ما تمكنت يوماً أن أكذب في حياتي ، وفي
كل مرة حاولت أن أموه الحقيقة بفضحي
وجهي . ولكن هذه المرة شعرت بتسلط الخجل
على من إعلان ضمني ، فقلت في نفسي : (ما كنت
لأقف أمام بابها لو أنني عرفت أنها تدهورت إلى هذا
الحد) واجتهدت أن أقنع ذاتي بأنه لم يكن بإمكان أحد
أن يراني ويعرفني ، فحاولت إنكار الواقع ، ولكن
الاحمرار علا جبيني فاضحاً أمري . وصدق ديجنه
بي وهو يتنسم فصحت به : — حذار ، يا هذا ،
فانك تتجاوز الحد

وذهبت في الغرفة أذرعها طويلاً وعرضاً كمن
فقد صوابه ، وحاولت أن أضحك فعصاني الضحك ؛
وأخيراً وجدت نفسي تجاه ستر مهتوك فقلت : —
وهل كنت أعلم أن هذه الشقية ...
فانقبضت شفتا ديجنه كأنه يصر على قوله :
أفما كان يكفيك ما عرفت ؟ .

وجئت وكان الدم — وقد انقبضت عليه عروقي
ربع ساعة — يتصاعد إلى صدغي نابضاً فبهما فبدأت
أكرر القول وأنا لا أعني : — أيها كنت في

إلا إني ألقى الشدة ليقذف بي إلى السبيل الذي يريده
لي ، واسكنه ما لبث أن شمر بنفاد صبري فاخترت
السكوت ، وما كان سكوته هذا إلا ليزيد من ثورتي
فبدأت بدوري أنحرش بزائري مستفهما وأنا أتمشى
ذهاباً وإياباً في الغرفة متوقفاً سماع التفاصيل عن هذه
الحوادث التي صُعقت لها . وكنت أتكاف
الابتسام ثم أظاهر بالسكون ، فما نجحت محاولاتي ،
لأن ديجنه تمنع بالصمت فجأة بعد أن ذهب بثورته
إلى مدى بعيد ، فكان ينظر إلى يهدوء وأنا أذرع
عرفتني بخطواتي كالنمل أطبق قفصه عليه

وشعرت بمجزى عن بيان ما كان يدور في
خلدني : أصبح أن تلك المرأة التي تربعت صنماً
معبوداً في صميم فؤادي والتي ذقت من هجرها
الأميرين ، تلك المرأة التي حصرت فيها كل هيامي
وأردت أن أبكيها مادمت حياً قد استجالت ما بين
ليلة وضحاها فاحشة تلوك اسمها ألسنة الشبان ،
مهتوكة تعان بنفسها فضائحها على ملا الأشرار ؟
وكنت وأنا استعرض هذه الأمور بذهني
أحس كأن كاويًا يطبع على كتفي علامة العار . وكما
استغرقت في التفكير كانت تنكأ الظلمات حولي
فأدير رأسي عن جلسائي وأنا شاعر بابتساماتهم
ولحاظهم تنصب على لاستجلاء سريري

وكان ديجنه يتبع حركاتي وسكناتي وهو
لا يجهل إلى أين يتجه بما يفعل لأنه كان يعرفني
ويعرف أنني أقدم على كل أمر وأتجاوز كل حد بما
في من اندفاع إلا حداً واحداً وهو الشرف ؛ لذلك
كان يقصد أن يصم الآحي بالعار مستمعيناً على
عواطفني بتفكير

ولما رأي أنني وصات إلى الحد الذي يريد ،
صوب آخر سهم من جيبته إلي فقال :
أفما أعجبتك هذه القصة ؟ إليك الآن بآخر

هذه الهاوية السحيقة تهتف هازئة : — هذا هو جزاؤك ...

لو جاء هؤلاء الصحاب فقالوا : إن الناس يهزأون بك لكنت أجيبهم : مالى وللناس ؟ ولكنهم جاءوا يقولون إن خليلتك لا زمام لها ولا عهد

إذاً ، لقد اشتهرت الفضيحة وثبتت بشهادتين ما كان يمكن لمؤدبها أن يعلننا وجودى على ما كنت عليه دون أن يتحدثنا بما كانا هما عليه أيضاً ، فهاذا أكذب الناس ، وما بوسى أن أقول لهم ؟ وأين أجدى ما جأ وقد أصبح قلبى وهو مركز حياتى طلالاً متهدماً . وهل لى ما أقول إذا كانت هذه المرأة التى ما كنت لأتردد فى اقتحام أية سخرية وأية ملامة من أجلها واحتمال جبال المصائب تنهار على فى سبيلها ، هذه المرأة التى أحببتها فأحبت سوى فا طالبها بالنور المنطفىء بل قنمت بأن أفق با كيا أمام بابها لا لشيء الا لالمح فيها وأنا بعيد عنها شبابى المضيق وقد استحال الى أطياف تذكاري ، ولأحفر اسمها دون سواه على لوح قبر دفنت فيه جميع آمالى ... هل لى ما أقول إذا كانت هذه المرأة هى نفسها تسخر بى وتهزأ بدموعى ؟ إنها هى نفسها أول من أشار إلى بينانه قاضياً على بالتنهير أمام من لا عمل لهم إلا الاندفاع فى ميلهم الى الاستهزاء بمن يحقرهم ...

أجل ، هى نفسها من رى بالاهانة إلى خارجة من شفتين طالما التصقتا بشفتى ومن جسد كان روحاً لحياتى بل دمك من دى ولحمك من لى . وهل من إهانة أقطع من هذه الالهانة وما هى الا قهقهة لارحة فيها تصفع الجبين الجميع برشاش نقاشها ... وكنت كلما استغرقت فى آلامى يحتم غصبي وتضطرم ثورتي ، وما أدري أصبح أن أصف

الشارع غارقاً بدموعى ، كان المراك قائماً بين الماشقين ؟ ... أنى تلك الليلة جرى هذا ؟ .. وقد هزأت بى ! .. لقد سخرت بى ! .. هى ؟

أما رأيت هذا فى حلم ياديجنه ؟ أم يمكن أن يكون مثل هذا صحيحاً ؟ ...

وكنت وأنا أدفع بهذا الهذيان أشعر بالغضب يساورنى حتى استوات على هزة عنيفة اضطارتنى إلى القعود ويدهاى ترتمشان .

وقال ديجنه : — مالك ولهذا الهزلة تقابها بالجد ، يا أوكثاف ؟ لقد أرهقتك هذه الهزلة منذ ثلاثة أشهر ، والأمر ظاهر ، فأنت بحاجة إلى التسلية . تعال لتناول العشاء سوية وغدا نذهب للتنزه فى الضواحي

وكان يقول هذه الكلمات بلهجة فعلت فى نفسى ما لم تفعله أوجاعى إذ شعرت بأنه يمامانى معاملة طفل عليل

وبقيت ساكناً أحاول التغلب على ذاتى عناجتها قائلاً : — لقد خدعتنى هذه المرأة فجأت بمدىها النصائح السيئة تعمل قلبى ، وما وجدت لى ما جأ لا فى العمل ولا فى ارهاق قواى ؛ ولم يبق لى وأنا فى العثرين من ربيع الحياة ما يقينى التدهور فى القنوط أو الفساد إلا ذخيرة آلامى الريمسة أستعيز بها وقد جاءنى الآن من يريد تحطيمها بين يدى . إنهم لا يوجهون الأهانة إلى حبيبى الآن بل إلى يأسى ، لقد أصبحت سخرية وهى نفسها تهزأ بى ... وأنا أبكى

وما كنت لأصدق بوقوع مثل هذه القرية ، فكان الماضى بأمره يحتاج تذكاري فأرى لىالى غرامنا القديم تمر أمامى كأشباح تتوالى مترامية على شفير جرف لا قرار له غير صخور مظلمة كالعدم وكنت أسمع قهقهة تتجاوب أصدائها فوق

ولو اضطررت إلى حفر هذا القبر في صميم فؤادى
قلت هذا وارتميت على مقعد أنظر إليهم
يدخلون الغرفة وأنا أشعر بالمسرة الرائعة التي يشعر
بها كل إنسان يفرّج كرب الاحتقار عن نفسه ،
وإذا ما خطر لإنسان أن يعجب لا يتخذى منهجاً
جديداً في حياته ، فما ذلك إلا أن يعطى على خفايا
القلب البشرى ولا هو يعلم أن المرء أن يقف
عشرين سنة على ترده ، وليس له أن يتراجع إذا
هو دفع بالخطوة الأولى على أي سبيل

الفصل الثاني

ما أشبه من يصاب بالدوار بمن يتلذذ للتخلعة
والفحشاء ! وما أوائل الدروس إلا رعب تمازجه
لذة المشرف مرتجفاً من برج مرتفع على الأعماق
إذا كانت الرذيلة المستترة تنال من نبالة الخلق
وتحط من معزة النفس ، فإن في الخلعة الصريحة
التي تقتحم الهواء الطلق شيئاً من كبر الجسارة
تراه متجالياً في أشد الخلفاء فساداً . إن من يسير
تحت جناح الليل سائراً أنفه باردانه ليلاطخ حياته
متنكراً نافضاً رياه نهارة خلصة ، إنما هو كـبعض
الابطال الذين يرسلون خناجرهم رشقاً إلى ظهر
من لا يجروون على منازلته . إن في الزوايا المظلمة
وفي التلاق تحت جناح الليل ما يشبه كمين الأشرار ،
في حين أنك ترى في مقتحم الدعارة الصاخبة شيئاً
من صفات المحاربين ، فتحسب أنك تشاهد عمراً
في موقعة وتهتف بك الكبرياء قائلاً : إن جميع
الناس يفعلون هذا مستترين ، فاهتك الستر أنت
وافعل علانية ما يرتكبونه في الخفاء
وإذا ما ادرك الخالص هذه النجوى ، فإن شعاع
الشمس لينعكس ملتصعاً على درءه

ما كنت أشعر به من الغضب ، وكل ما أعرف عنه هو
شمورى بماطفة الانتقام . ولكن أنى لي أن أنتقم
من امرأة ؟ . . . وأين السلاح الذي يمكن لرجل أن
ينال به من امرأة لأشتره بما عز وهان ؟ أية ضربة
أوجهها إليها وأنا أعزل حتى من السلاح الذي
رشقته بناره ؟ وهل لي أن أنالها بما نالته من
وقية واغتيال ؟

ولاح لي فجأة وراء الباب الزجاجي خيال الفتاة
التي كانت لم تزل تنتظر الإفراج عنها . وكنت
نسيتها تماماً ، فنهضت من مقعدي وصحت بأصحابي :
اسمعوا . . . لقد أحببت . . . ، أحببت كيجنون بل
كأحمق فاستحققت كل ما ترشقونني به من عار ؛
غير أنني سأعرض عليكم الآن ما يثبت لكم أنني
لم أعد ذلك الأحمق الذي تتوهون

ودفعت باب الغرفة الصغيرة برجلي فأنكشف
مخبأ الفتاة وقد لجأت إلى زاوية لتتقى الانظار
وصحت بديجته : أدخل ، أنت يا من رآني
مجنوناً لهيأى بامرأة ؟ أنت يا من لا تحب إلا نبات
المواخير . . . أفأرى حكمتك تختال هنا في هذه
الغرفة ؟ سل هذه الحكمة ، سل هذه الفتاة عما إذا
كنت قضيت ليلتي كلها تحت نافذة تلك المرأة ،
فأنها أخبر من سواها . . . ولكن ليس هذا
كل ما أريد أن أقوله ؛ إنك تدعوني إلى تناول
المساء ممك هذا المساء وإلى نزوة في الضواحي
غداً ، فأنا أقبل دعوتك ، ولكنك لن تبارحنى
منذ الآن ، فلنمض النهار سوية ، فأقدم لكم
ما تشاؤون من خمر وورق ميسر وأزهار . أنتم لي
وأنا لكم ، فلنتماهد على هذا الشمار ، لقد شئت
أن أرفع في قاي مزاراً أحسب به غرامى ولكننى
الآن سأنزل هذا الغرام إلى قبر أدفنه فيه

قيل أن ديموكليس كان يحيا وفوق رأسه سيف
معلق ؛ وما حال الخلقاء إلا مثل حاله ، فان فوق
كل منهم سيفاً يقول : تقدم . . . تقدم أبداً ،
فأما معلق بخيط على وشك الانقطاع

وما أرى ما أصوره به حياة الخلقاء إلا وصف
عجلة يتمدها في أعياد المرافع رهط المقنمين ، وهي
تخترق الطرق مكشوفة يلمب الهواء بما عليها من
مشاعل تنير الوجوه المكاسة ، وعلى هذه العجلة
فئة تغنى وفئة تضحك وبين الفئتين تلوح مخلوقات
كأنها نساء ، وما هي في الواقع إلا بقايا نساء عليهم
من الإنسانية آثار عافية . ويالهن من نساء يلقين
بين القبل كل أنواع الاهانات والتحقير ولا يعرف
المحتضن لهن هوية ولا اسماً

وكل هذا رهط تسير به عجلة المساهر مفرقة
تنيرها مشاعل الغاز الملتهب ، وقد تحكم السكر في
الرؤوس فحمد فيها كل تفكير . ولقد يخيل إليك
من حين إلى حين أن هنالك ما يشبه الاحتضان
والتقبيل ، وإذا تدرج أحد من هذه العجلة فما
يهم أحد بأمره ، وهل يهم شيء من يرى نفسه
خارجاً من عدم سائراً إلى عدم . . . على هذه الوتيرة
تسير خيول العربة خبيهاً ويعر رهط المسافرين

إذا كان الدهش هو أول ما يشعر به المنخرط
في سلك الخلقاء ، فما يشعر به بعد ذلك إنما هو
الاشمزاز يقبض على القلب ليجره جراً إلى الاشفاق .
إن ميدان الخلاعة مجلى للقوة أو بالأحرى مجال

لنقاد القوى ، وذلك ما يجتذب الكثيرين من
عشاق المجازفة ، فيقدمون الى هذا الميدان ليبذلوا
نفوسهم مبددين ما فيهم من قوى ، فهم كالفارص
المعبد يمتطي فرساً جوحاً وينطلق غير شاعر بما
يماق من لحم ومن دمه على أشجار الطريق ولا بالشرر
يتطاير من محاجر الذئاب تتبعه في الأرجاء القفرة

دلا بالغبان محوم ناعبة فوق رأسه
لقد سردت الحوادث التي رمت بي إلى هذه
الحياة ، فعلى الآن أن أقص ما رأيت فيها :

لأول مرة رأيت فيها المجتمعات التي يدعونها
مراقص مقنعة ، كنت سمعت من يقول إن فيها
دعارة الفصور وإن إحدى ملكات فرنسا تنكرت
فيها بزى بائنة أزهار ، ولكنني ما شهدت في هذه
المراقص إلا بائعات أزهار متنكرات بزى خاديات
الجنود . كنت أحسب أنني سأجد فيها الدعارة
فكذب الواقع خدسي ؛ وما يمكن أن ندعو دعارة
هباباً متساقطاً من دخان ، ولا اللكم والصفع ،
ولا فتيات سكارى منطرحات كالأموات على ركام
الكؤوس المحطمة

لأول مرة رأيت فيها فسق المائدة ، كنت
سمعت أحاديث الشراهة في الولائم وبانغي اسم
فيلسوف يوناني أقام دين الفطرة على لذة الحواس ،
فكنت أتوقع أن ألاقى في هذه الولائم شيئاً من
الاستغراق للنسي إذا امتنعت الأفراح الحقيقية فيها
فما وجدت إلا أقبح ما في الحياة : ما وجدت
إلا ملالا يحاول أن يتمتع بالعيش ، فكان هنالك
قوم يسودهم الخلق الانكاذبي يتحدثون عن أعمالهم
ويجدون التسلية في هذا الحديث وهم يقدرون
ملذاتهم على ما بذلوا من مال ؛ وعلى هذه الوتيرة تدور
عليهم ربح الحياة

لأول مرة رأيت فيها بنات الهوى بعد أن
كنت سمعت قصة (اسبازي) يحتضنها (السيبياد)
وهو يتناقش مع (سقراط) ؛ كنت أتوقع أن أرى
انطلاقاً وقحاً فيه شيء من المرح وخفة الروح ؛
كنت أتوقع أن أشاهد ما يفلى وبطفو كجباب
الراح المعتقة فما وجدت إلا شفاهاً متراخية وعبونا
جاحظة وأنامل متشنجة

هذا الزمان ولا في الزمان المنصرم إلا كلمة «البغاء»
وما حفرت هذه الكلمة على الذهب التوهج بشمع
الشمس بل على الفضة التي تبدو لميتيك باهتة كأنها
مفشاة بكدورة أنوار الليل

لأول مرة رأيت فيها الشعب ، كان ذلك في
صبيحة الرفع (أربعاء الرماد) عند منحدر (كورنيل)
وكانت السماء قد أمطرت الأرض رذاذاً منذ المساء
فأصبحت الأزقة كأنها مزالق أوحال ، وكانت
المجلات الحاملة رهط المقمعين تمر متدافعة بلا انتظام
بين المتفرجين على جانبي الطريق ، وهم واقفون رجلاً
ونساء يمرضون أنواعاً من القبح على الرصيفين .
وكانت تلمع في محاجر هؤلاء الناس عيون أعارتها
الخرلونها فبدت فيها نقمة الوحوش الكاسرة .
وما كانت صدمات المجلات تنال صدورهم لترجمهم
قيداً أعملة إلى الوراء ، وكنت أنا واقفاً على مقدم
إحدى هذه المجلات المكشوفة فكنت أرى من
حين إلى حين أحد المتفرجين يتقدم نحونا من صفه
وهو بأسماله ليوجه إلينا أفطع الشتائم ثم يرمينا
بحفنة من الدقيق ويمود أدرأجه . وما طال سيرنا
حتى بدأ الناس يرشقوننا بكتل من الأوحال فلما
تراجعنا بل داومنا التقدم نحو جزيرة القرام وغابة
(رومانفيل) موطن العناق والسرور . وسقط أحد
أصحابنا عن مقعد المجلة إلى بلاط الشارع فهرع
الشعب إليه قاصداً تحطيم عظامه ... فترجلنا وأحطنا
به لوقايته وكان حامل النفير يتقدم المجلات ممتطياً
جواده فرشقه الشعب وقد فرغ ما لديه من الدقيق
بحجر خدش كتفه

وما كنت سمعت بمثل هذا من قبل ، فبدأت
أتعرف حالة العصر الذي نعيش فيه
(يتبع) فليكن فارس

لأول مرة رأيت فيها السيدات المتهتكات .
كنت قرأت (بوكاس) و (باندللو) بعد أن
طلعت (شكسبير) ، فكنت أتخيل هؤلاء السيدات
ملائكة جحيم يواجهن الحياة بالرشاقة والروح ،
وكنت أرسم منهن أشكالاً تنم عن الجنون في
الخيال ، وقوة الإبداع والقحة بعيون ساحرات
تثير برشقة لحظ فاطر أحداث شجون وغرام .
كنت أحسهن في الحياة تموجاً واهتزازاً كآلهات
البحار ، وأراهن منحنات ثملات ، أو منطرحات
سكرا من خمرة الحب والهيام . هذا ما كنت
أتصور وما كنت أتوقع أن أرى ، فلما رأيت إلا
محدرات رسائل وضاربات مواعيد ، دأبن إرسال
الأكاذيب لرجل مجهول بعد رجل مجهول ، وستر
الدنيا بالرياء ، وما يرمين إلا إلى هدف واحد :
الاستسلام والنسيان

لأول مرة ارتدت فيها أندية الميسر ، وكنت
سمعت الأحاديث عن جداول الذهب والثروات
بالحظة من الزمان ، وعن سيد من قصر هنري
الرابع ربح بورقة واحدة مائة ألف ريال وهي قيمة
ما كان يرتدى من ملابس ، فلما رأيت في هذه
الأندية إلا دكان أثواب يستأجر منه العمال المرتدين
قيصاً ليس لهم سواء ثوبا بمشرين درهماً لتمضية سهرة
واحدة ؛ ولما رأيت إلا جلاوزة بحرسون باب ناد
فيه رهط الجائنين يقامرون مجاذفين بطلقة عيار
نأري على أدمغتهم مقابل رغيف ...

لأول مرة رأيت فيها مجتمعا للخاصة وللعمامة
من ثلاثين ألف بنى حاملات اجازة يبيع أعراضهن
في باريس ؛ وكنت سمعت بكل فيالق الفحشاء
في كل زمان من عهد بابل إلى أيام روما ، وقد
كتبت على أبوابها « اللذة » فلما رأيت لا في